

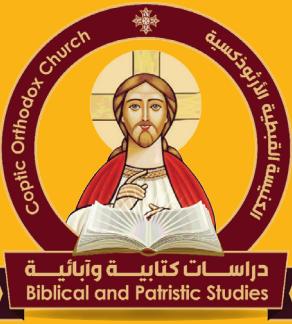
# فصح يونان

# طباح شرق على نينوى



القمص تادرس يعقوب ملطي

2021



# صباح مشرق على نينوى

الرجاء في الخلاص بواسطة مصادر بشرية ليس خلاصاً، لأن الوسائل القابلة للموت لا تهزم الموت. لذلك فإن أولئك الذين يعيشون في وقت الاضطرابات يلزمهم أن يكونوا مُتَلَّهِفين على الصلاة لرب السماء، الذي يسمح بالحزن أو البهجة، وهو وحده بتنازله المتواضع، يمكن أن يؤكّد أن المتابع قد أزيلَتْ والأزمنة السعيدة قد استُردَتْ ...

قوة الصلوات والقومة الشافية للدموع في حضرة الله أبينا هما الدرس الذي يلزم تَعَلُّمه من نينوى التي خلصت بحزنها... هكذا الإيمان الذي يتکئ على الله يجب أن يُقُوّي القلوب المرتعبة، وثقتها في الله يجب أن توحى لها بأيام مملوءة سلاماً. فإن مخافة الرب تكفل التحرر من الخوف، بينما من لا يخاف الرب هو وحده يليق به أن يخاف من كل أحدٍ. هؤلاء الذين ليس لهم ثقة في المسيح كحامل للخلاص، يليق بهم أن يضعوا ثقتهم في فرقٍ بشرية.

الشاعر اللاتيني بولينوس من نولا

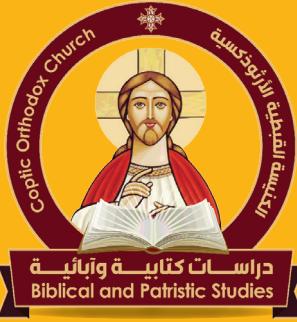
## التوبة معركة أم عرس !

❖ كان شهياً التجمُّع الذي صنعته نينوى للتوبة، فكانت تُسمعُ أصوات الألم من كل الأفواه .  
محبوباً كان الاحتفال الذي صار في شوارعهم، لأنهم كانوا يذرفون الدموع، وينالون الرحمة لأجل خلاصهم .  
كان بهياً العُرس الذي صنعوه بansonحاق النفس، لأن أصوات البكاء كانت ترعد فيه بدل المزمار .  
كان بهياً العيد الجديد الذي صار هناك، وبدل الذبائح دخلت الصلاة لتُقرَّبَ فيه .  
فاحت التنheads من كل الأفواه كالعطور، ليرضى الرب بذلك العمل الذي كان يُحبُّه .  
كان تضرعاً يلأ من ينظر إليه عجباً، لأن الملك كان قد أصبح مؤدّبها ليجمعها .  
خرج العريس من حجاله لابساً المسح، وخرجت العروس من خدرها، وأحنت رأسها بحزنٍ عظيم .  
تفرّساً في الملك، وإذا به قد طرح تاجه في ألمٍ عظيمٍ، فطرح العروسان أكاليلهما وبكيا معه .  
ألقت العرائس ثياب بهاء العرس، وتباھت بلبس المسح على أجسادهن .  
عوض التنعم ارتدين ثياب الحزن، وعوض الأطياط، وضعن الرماد على رؤوسهن .  
بصوت يونان بطلت الأفراح في المدينة، ولبسـتـ المـديـنـةـ كلـهاـ الحـيـادـ معـ سـاكـنـيهـاـ .

القديس مار يعقوب السريوجي

## نينوى تدين ابنة يعقوب !

❖ دخل يونان إلى مدينة نينوى بدون انتصارات جباره، وهو ينذر بالدمار فقط .  
قال فيها كلمة بسيطة بدون برهان، ولم يحتقره رجال نينوى الذين كانوا حكماء .  
ولهذا كتب أن رجال نينوى يقومون ويحكّمون على جيل افتري على المخلص .



لم يدخل يونان إلى نينوى وقد عمل قوات ولا اشتهر بعجائب مثل مخلصنا.

لم يغّير فيها الماء إلى الخمر لتتلذذ به، بل مزج لها أمّاً وقبلت منه لأنها كانت حكيمة .

لم يعط شفاءً للمرضى لكي يحبّ، بل هدّ الجبارية بالتدمير ولم يتذمروا .

ما جاءهم بأخبار سيئة سمعوه بحب، فلو فعل هناك أمور حسنة ماذا كان سيحدث؟

أعلن هناك أن المدينة ستلوك وقد قيل، ولو قدر أن يقيم الموتى كم كان سيعظّم؟

قال لها إن أحياءها سيموتون، فسجدت وأكرمته، ولو قال لها: سيحييا أمواتها لعلها كانت ملّكته عليها !

صهيون نقضت سبيل ربّنا المحبوب، وإذ كان يصنع فيها الحسنات كان يهان .

شفى المرضى وعافى الأوجاع وطهر البرص وأخرج الشياطين وأسمع الصم ...

صهيون جحدت كل هذه الحسنات وبعد كل هذه الأمور كافأت ابن الله بالإهانة

يونان لم يفعل أمراً واحداً من هذه الأمور في أرض نينوى، بدأ بالهدم وجميعهم أحبوه وتوسلوا إليه ...

يليق بهذه (نينوى)، الاسم الفاضل في العالم كله، لأنها عملت في الأرض عملاً صالحاً .

هذه التي تقوم في اليوم الأخير مع ابنة يعقوب وتدينها، لأنها تشகّث في المخلص .

تخلّصت نينوى بالصلوة لا بالذهب، مدينة دفعت الدموعُ ثمنها، ودخلت ثم سكتتها .

مدينة مقتناه بصلوات من قبل الله.. معلمة بناتها صوم الألم وبه تخلص .

## القديس مار يعقوب السروجي

### صباح مشرق على نينوى

❖ تغيّرت أصوات البكاء بالتسبيح، وعوض الدموع مسحوا وجوههم بالبهجة .

هتف الأحرار أمام الملك بصوت مرتفعٍ: لترحّب يا ملکنا البشرة الجديدة، ونجينا معك .

قم أيها النشيط من المذلة وافرح معنا .

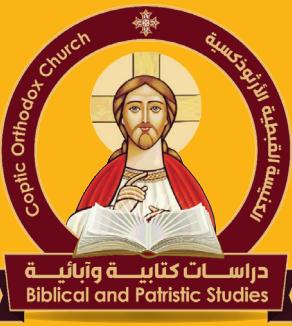
أيها الحكيم غير مسوحك، لأن الغضب قد بطل .

قم من الرماد، لأن الرب ارتضى بتقرّبنا إليه. اختم طلبتك، لأن المدينة قد تغطّت بالرحمة .

## القديس مار يعقوب السروجي

### خصوصة مملوءة دهشة !

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [حقاً لقد خجل النبي إذ رأى أن ما تنبأ به لم يتحقق... أما الله فلا يخجل أن يطلب أمراً واحداً هو خلاص البشر وصلاح خادمه]. ويرى القديس چروم أن غمَّ يونان وشكواه يقومان على إدراكه مراحم الله ورأفاته، إذ لم يكن ممكناً أن يقدّمه لأهل نينوى كإلهٍ قايس، لذا اشتهى الموت ولا يرى مراحم



الله تدرك الأمم بينما إسرائيل يهلك، فيقول على لسان يونان النبي: [إنني الوحيد بين كثرة الأنبياء أُعلن لشعبي عن دماره خلال خلاص الآخرين].

❖ حزن ذاك العربي، وصار في ضيق شديد وكآبة نفس، وصلّى بألم إلى الله .  
دَبَّتْ فِيهِ الْغَيْرَةُ، لِيُعَاوِّبَ الرَّبَّ بِسَبِّ الرَّحْمَةِ، وَهُوَ يَتَأَسَّفُ .

رَبِّي، أَنَا أَعْرَفُ أَنَّكَ رَحْمَةٌ وَرَوْفَفٌ، وَلَهُذَا سَبَقْتُ فَهَرَبْتُ مَا أَرْسَلْتَنِي .

كنت أعرف طول أناتك منذ مدة طويلة، ولهذا خفت أن آتي إلى نينوى المملوءة إثماً.

ربِّي، كنت أعرف بأنه لا حدّ لنعمتك، ولن تركك رحمتك تضرب الأشرار كما ينبغي.

كنت مُتِيقِّنٌ أَنَّ بَحْرَ الرَّحْمَةِ يَجْرِي مِنْكَ، وَكُلَّ تهْدِيدِكَ يَضْمَحِلُّ بِهِ، وَكَأَنَّهُ غَيْرَ مُوْجُودٍ ،

ربِّي، كنت أعرف كم يدك مملوءة حناناً، ولا تقدر أَنْ تُمْسِكَ العصا لِعَذَابٍ مُّبْرِحٍ .

كنت أخاف من هذا الأمر الذي حدث الآن، ولهذا سبقت وهربت منك مثل عاصٍ .

هذه كانت قناعتي لما كنتُ في وطني، فقد وجدتك رحوماً كما كنت أعرف، ولهذا استصعبت أن أُنذِرَ.

كنت أعرف، ولهذا لم أُرِدْ أَنْ آتِي إلى نينوى، غصبتني لآتي، فأتيت لأدعوه بدمار، والآن لم يحدث .

❖ انظروا إليها الحكماء بماذا يلوم يونان الله: عرفتُ أَنَّكَ رَحْمَةٌ وَحَنَانٌ .

عيَّرهُ على الرحمة، ولامه لأنه لا يؤذى، وعاتبه على نعمته الكثيرة.

كان خصم مملوء عجباً ممن ينظر إليه، وقد أعده النبي ليتخاصم مع الله.

فتَّشَ عن أسباب بحسب إمكانيته ليناقشه بها، ولم يجد سوى كونه رحوماً.

كان يُعَيِّرُهُ بهذا التعبير لأنه يرحم، ولهذا السبب بدأ يونان يلومه.

تضائق يونان ولو وجد روّات الحجج، لأنّي بها ضد ربّه بسبب الحزن الذي لحق به.

وإذ لم يقدر أن يقول شيئاً، قال باختصار: عرفتك أَنَّكَ رَحْمَةٌ وَحَنَانٌ .

لام الله على رحمته ورأفته، وبدأ يطلب الموت لنفسه بمرارة .

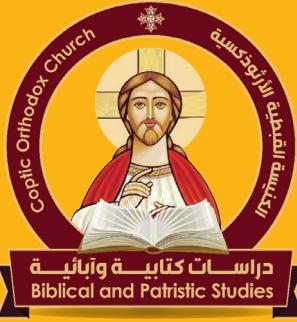
تضَرَّعَ قُدَّامَ اللهِ: "يَا سَيِّدِي حُذْ مِنِّي نَفْسِي، لَأَنَّ الْمَوْتَ الْآنَ أَفْضَلُ لِي مِنَ الْحَيَاةِ .

أَوْ أَنْ أَكُونَ مِيَّتاً، وَلَا تَجْعَلْنِي كَاذِبًا! الْآنَ فَسَدَتْ كَلْمَتِي الْخَاصَّةُ بِالنَّبِيَّةِ، وَالْمَوْتُ لِي خَيْرٌ مِنَ الْعَارِ .

القديس مار يعقوب السروجي

يقطينة قرع تنبت فوق رأسه !

تطلع يونان إلى ظل الشُّجيريَّةِ كَبِيتٍ له، يَحْمِيه من حرارة الشمس؛ ففرح به وزال عنه حزنه. وفرح قلبه، وتلذّذ بالهواء الطلق، وزالت كآبته منه. استراح المُتَعَبُ من عناء كرازته، وزالت عنه كل هذه الأمور التي جعلته يتذمّر.



❖ أعطاه الله شيئاً لكي إذا ما أخذه منه يتأنم لفقده.

أمر يقطينة قرع أن تبت فوق رأسه، فكثر الظل بالظلمة التي صنعها له.

أمر الرب، ونبت اليقطينة فوق يونان، ورآها ففرح، وزال ضيقه الشديد.

استراح المتعب تحت الظل، وابتهج قلبه بزوال الضيق المحيط به

أعجب الرجل بالبيت الجديد الذي اقتناه فجأة، وأحبه كثيراً حتى نسي كل ألمه.

ابتهجت نفسه بالأوراق التي رأها هناك، فهدأ من الغضب، ولم يعد يطلب الموت لنفسه.

نظم له الرب أمام وجهه منظراً شهياً، وبحكمة أبهج محياه المكمد.

رأى الأوراق والشمار مرصوفة فوق رأسه، فتكبر الرجل مثل غني بذهبه الكبير.

رأى الأزهار في ذلك السقف الذي فوقه، وفرح بها كأنما بالكواكب التي توجد في الفضاء.



## القديس مار يعقوب السروجي

### انشق بيت يونان !

بينما كان يونان يستظل تحت اليقطينة، وفي الغد عند طلوع الفجر ضربت الدودة الشجيرة وامتلأت أوراق الشجيرة ثقوباً بسبب الدودة، فشعر يونان لأن بيته مملوء ثقباً. واذ هبت ريح سقط الورق المتشقوب عليه، فقام من نومه في فزعٍ، لم يعد بيته قادرًا على حمايته من حرارة الشمس. فتمررت نفسه فيه وانسحق، مشتهياً لنفسه الموت .

❖ حينئذ أمر الرب يقطينة القرع فيبست، بريح حارة أرسلت إليها.

تناثرت الورود، ويبست الأوراق وذابت الشمار ..

انشق بيت يونان من كل جانب، ودخلت الشمس، وسحقت الرجل بمراة.

حملت الريح ذلك الظل الذي أراحه، واشتد الحرُّ، وتضاعف العناء على المتعب.

تحوّل الجو الرطب إلى سخونة، وحرقه الحرُّ في سبات متعب استولى عليه.

تناثرت الأوراق التي فوقه، وقلق الرجل، وأفاق من نومه، وهو مذعور.

ولعله ظنَّ أن هذا هو الدمار الذي كان ينتظره، هجم على المدينة، وبلغ إليه ليُعذبه.

نظر ليري، هل دمرَ الاضطراب نينوى، واستأصل معها مظلته الشهية.

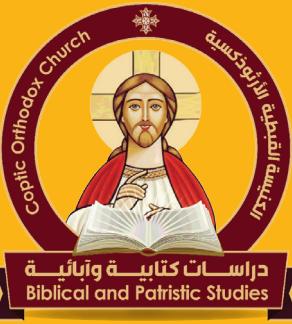
ترى هل قلب الغضب المدينة على ساكنيها، وأنى وبلغ إلى اليقطينة واستأصلها فسقطت؟

وإذ نظر ووجد أن المدينة قائمة ولم تدمَر، استاءت نفسه، وسأل الموت بألمٍ شديد.

تضرع إلى الله: ربِّي، خذْ نفسي، أعطني الموت الذي أطلبه ...

مدينة الغُلف المبنية بالإثم لم تهدمْ، والمظللة الصغيرة التي اقتنتها أصابتها الرياح !

خربت المظللة التي لم تتجاوز وصاياتك، ونينوى تهلك طر Isa، وكانت شرورها لا تُعد!



مدينة الأشرار أسوارها مرتفعة ومنيعة، واليقطينة الصغيرة

التي قدَّمت لي راحة اقْتُلَعْتُ وانظرحت!

أبراج الأمميين المملوءة إِثْمًا نَجَّتْ من الغضب، والأوراق البسيطة التي  
اقتنيتها سقط وذلت.

الآن يا رب، حلني من الحياة التي تزعجي. فإني أستريح بالموت فإني لا أجد هنا راحة!  
باليقطينة التي يبست، أظهر الرب له أنه وهونبي أيضا هو إنسان، ويؤلمه هو أيضا الألم.

القديس مار يعقوب السروجي

## لماذا تلوم مراحمي؟

❖ ردَ الله على سؤال يونان بسؤال، إذ قال له: هل حزنتَ كثيراً كما تقول؟

قال يونان: حزنتُ جدًا حتى الموت، ضيقني عظيم، وبسببه طلبتُ الموت.

وإذ قال إنه حزن على اللاشيء، حينئذ استعمل الرب التأنيب

قلْ لِي أَيُّهَا النَّبِيِّ مَلَأَ دَمَّتَ شَفَقَتِي، وَمَلَأَ عَاتِبَتِي لِأَنِّي تَخَلَّيْتُ عَنِ التَّدْمِيرِ؟

يقطينة القرع التي لم تتعب فيها ولا ربَّيتها، نبَّتَتْ في الليل وأَنْتَ لم تشعر أو تعرف بها.  
عادت ويبست، وأَنْتَ بعيد من الأمرين، ولا يعود إليك نموها ولا جفافها.

ليس لك يد في أنها نبَّتَتْ ولا يبست، وإنْ كانَ الْأَمْرُ هكذا، إِذَا بِكَ حَزِينٌ جدًا كَمَا تقول.

كيف لا أحزن بهدم المدينة العظيمة التي تضم ألواناً من الناس؟

لماذا لا تُشْفِقُ على ربوت الأطفال، الاثنتي عشرة، هؤلاء الذين في نينوى مع الحيوانات الكثيرة؟

اليقطينة التي يبست وهي ليست ملكك أحزنـتك، المدينة التي هي ملكي لماذا لا تشفق عليها إذا دُمِّرتْ؟

أنا الذي صوَّرْتُ الأطفال في بطون أمـهـاتـهـمـ، وأعطيتـ الـحـيـاةـ للـنـاسـ النـاطـقـينـ.

أنت لم تخلق اليقطينة، وانزعجـتـ لأنـهاـ فـسـدـتـ، أنا الذي خـلـقـتـ أـلـاـ أـشـفـقـ عـلـىـ مـخـلـوقـاتـيـ؟

أنا غضـبـتـ عـلـىـ أـهـلـ نـينـوىـ فـأـرـسـلـتـكـ، وـلـمـ طـلـبـواـ مـنـيـ، أـشـفـقـتـ، فـلـمـاذـ تـذـمـرـ؟

من شـائـيـ أـنـ أـرـيدـ، وـمـنـ شـائـيـ أـنـ أـصـنـعـ مـاـ أـشـاءـ، مـاـذـاـ أـنـتـ مـنـزـعـجـ لـأـنـيـ رـحـمـتـ التـائـبـينـ؟ـ...

كل أحـدـ يـحزـنـ عـلـىـ مـقـتـيـاتـهـ إـنـ فـسـدـتـ، مـاـذـاـ تـسـرـعـ أـنـتـ لـتـهـدـمـ مـدـيـنـيـ التـيـ هـيـ مـلـكـ لـيـ؟ـ...

كمـاـ حـزـنـتـ أـنـتـ إـلـاـ، أـنـاـ أـيـضاـ أـحـزـنـ أـكـثـرـ مـنـكـ عـلـىـ نـينـوىـ لـوـ سـقـطـتـ.

بحـانـهـ فـتـحـ بـابـاـ عـظـيـماـ لـلـتـوـبـةـ، مـبـارـكـ لـأـنـهـ مـمـلـوـءـ بـالـمـراـحـمـ، وـيـشـفـقـ عـلـىـ مـنـ يـدـعـونـهـ.<sup>1</sup>

القديس مار يعقوب السروجي

القمص تادرس يعقوب ملطي

الخميس ١٨ أكتوبر ٢٠٢١

٢٥ فبراير ٢٠٢١

<sup>1</sup> المير 122 على يونان النبي (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني); المير 12 على يونان النبي وتوبة أهل نينوى . يُقرأ في صوم يونان (قبطي): يونان النبي والنداء إلى نينوى، نقلها إلى العربية الأب إميل أبي حبيب الأنطوني، ص 259-267